



السلم في العلاقات الفاطمية البيزنطية دراسة تاريخية للفترة المغربية

من خلافة المعز لدين الله (341هـ - 952م / 362هـ - 972م)

A historical study of the Maghrebian period of the succession of the Mu'izz
(ideen Allah (341 A.H - 952 A.D / 362 A.H - 972 A.D)

مختار عمارة

جامعة المدينة

Am.karim05@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/03/15

تاريخ الإيداع: 2019/02/04

الملخص :

إن كم الدراسات الفاطمية في المرحلة المغربية قليلة نسبيا مقارنة بالدراسات التي تطرقت للفترة الفاطمية في دورها المصري، ومن بينها موضوع العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية في الدور المغربي، خاصة العلاقات الفاطمية - البيزنطية التي تمثل أحد أوجه الصراع الإسلامي البيزنطي في حوض البحر الأبيض المتوسط، هذه العلاقات التي ميزتها فترات سلام متفرقة تحكمت فيها مصالح ظرفية ودوافع إقليمية ودولية، برزت بوضوح في فترة حكم الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الذي كان منشغلا بمواجهة منافسيه العباسيين في المشرق والأمويين في الأندلس من جهة والتحضير للانتقال إلى مصر وتنفيذ مشروع أسرته المتمثل في بسط سلطان الفاطميين على كامل بلاد الإسلام من جهة أخرى، في المقابل كان البيزنطيون منذ بداية ق 4/10م يواجهون أخطارا سياسية وعسكرية من جميع الأقاليم المجاورة ما جعلهم يقاتلون على جبهات متعددة استنزفت جهودهم، أمام هذا الوضع لم يكن الفاطميون ولا البيزنطيون على استعداد لكسب عدو جديد، بل على العكس برزت على الساحة مصالح آنية وأخرى بعيدة المدى حتمت إلى حد ما تلك المهادنات وفرضت على أرض الواقع فترات من السلام بين الجانبين.

الكلمات الدالة:

الدولة الفاطمية ، الإمبراطورية البيزنطية ، المعز لدين الله ، السلم ، الهدنة ، الصلح

Abstract:

The researchers interests in studying the Fatimid history in the Maghrebian phase is relatively few compared to the Fatimid studies in the Egyptian phase, including the issue of the external relations of the Fatimid state, especially the Fatimid-Byzantine relations which represent an aspect of the Islamic-Byzantine conflict in the Mediterranean region, these relations were characterized by periods of sporadic peace dominated by regional interests



and regional and international motives, it emerged clearly during the reign of the fourth Fatimid caliphate "al-mu'izz ideen Allah", who was busy confronting his rivals the Abbasid in the Orient and the Umayyad in Andalusia, and preparing for the transition to Egypt and extend his authority over the entire land of Islam, on the other hand, the Byzantines since the 4thA.H/10thA.D century faced political and military threats from all neighboring regions depleted their efforts, faced with this situation, neither the Fatimid nor the Byzantine were prepared to gain a new enemy, there were even immediate and far-reaching interests between the two parties, contributed significantly to those compromises, and imposed on the ground periods of peace between the two sides.

Key Words :

The Fatimid state , The Byzantine Empire – al-Mu'izz ideen Allah , The peace , The truce .

عرفت العلاقات الإسلامية البيزنطية تأرجحاً بين السلم والحرب بحكم الظروف والأوضاع ومصصلحة الطرفين، ولما كان العالم الإسلامي منذ بداية ق 4/10م مقسماً إلى عدة إمارات وأنظمة سياسية متباينة ومتنافرة فيما بينها كانت العلاقات الإسلامية البيزنطية مختلفة كذلك بحكم المصالح التي تربطها بين هذه الدول المتنازعة على سلطان المسلمين، ومن بينها الدولة الفاطمية التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي، والتي أثبتت على أرض الواقع أنها قوة يحسب لها حساب في إطار العلاقات الدولية، لذلك نرى منذ تأسيسها بوادر فترات سلم ومهادنة بين الطرفين الفاطمي والبيزنطي والتي برزت بوضوح في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله، ما يدفعنا للتساؤل عن بوادر السلم بين الفاطميين والبيزنطيين قبيل عهد المعز، وعن أبرز الدوافع التي حدت بالطرفين إلى تثبيت السلم بينهما في فترة حكم المعز لدين الله، وما هي نتائجها على الصعيدين المحلي والإقليمي.

1 - مفهوم السلم:

لغة: السِّلْم والسَّلْم بفتح السين وكسرها، الصلح والسلام، وتسالموا بمعنى تصالحوا والتسالم التصالح والمصالحة⁽¹⁾. يشتمل هذا المفهوم على معان كثيرة منها المسالمة ومعناها ظاهر لأن بوقوعها يسلم كل من أهل الجانبين من الآخر، وجاء في القاموس المحيط: (تسالم أي تصالحا وسالم أي صالحا)، ومن معناها أيضاً المودعة من الدعة وهي الخفض والهناء لأن بسببها تحصل الراحة من تعب الحرب وكلفه، ومعناها المصالحة أيضاً⁽²⁾. و يندرج مصطلح الهدنة ضمن هذا المعنى كذلك، حيث تعني في اللغة المصالحة، يقول هادنه يهادنه مهادنة إذا صالحه والإسم الهدنة، التي تعني اصطلاحاً صلحاً يقع بين زعيمين في زمن معلوم بشروط مخصوصة⁽³⁾.



2 - مشروعية السلم في الإسلام:

الأصل في مهادنة غير المسلمين قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁴⁾، و قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ»⁽⁵⁾، حيث شرع الله سبحانه وتعالى للمسلمين أن يعقدوا معاهدات سلمية مع غيرهم من الأمم رجوعاً إلى السلم الأصلي الذي يحكم العلاقات بين الدول والشعوب، ولهم أن يقرروا وقف القتال حسب ما يحقق مصلحة الإسلام وإعزاز كلمة المسلمين، وقد حدد الفقهاء شروط السلم ومهادنة غير المسلمين، منها أن يكون في ذلك مصلحة المسلمين كأن يؤدي أعداؤهم الجزية دون حرب ونحوها، وألا يكون فيها شرط ياباه الإسلام كأن يشترط على المسلمين رد أسير مسلم إليهم ونحوها، وأن لا تزيد مدة الهدنة عن أربعة أشهر عند قوة المسلمين وأمنهم أما إذا كان في المسلمين ضعف وهناك خوف فيجوز المهادنة إلى عشر سنين، أما غيرها من شروط الهدنة التي لا تضر بالإسلام ولا بالمسلمين فلا حد لها بل بحسب ما تدعوه الضرورة ويمليه واقع الحال في تلك الهدنة⁽⁶⁾.

3 - بؤادر السلم بين الفاطميين والبيزنطيين في الفترة من 297هـ - 341هـ / 909م - 952م:

اتخذت العلاقة بين الفاطميين والبيزنطيين صورة القتال الذي دار في صقلية وسردينيا وجنوب إيطاليا، وما كاد الفاطميون يوطدون حكمهم في صقلية وإفريقية في عام 305هـ / 917م حتى انتهجوا سياسة الأغالبة في علاقتهم مع قلورية⁽⁷⁾ في جنوب إيطاليا وأخذوا يغيرون على المدن التابعة لبيزنطة في هذه المنطقة بعد أن امتنعت عن دفع الجزية⁽⁸⁾، وانطلقت عدة غارات على جنوب إيطاليا في الفترة ما بين 306هـ / 918م و 313هـ / 925م، ولم تتوقف الحملات الفاطمية على جنوب إيطاليا حتى سنة 313هـ / 925م بعد أن راسل البيزنطيون البلاط الفاطمي لعقد الصلح بينهما لتبدأ أولى فترات السلم بين الطرفين.

بمقتضى هذا الإتفاق تعهد الإمبراطور البيزنطي رومانوس⁽⁹⁾ بدفع الجزية السنوية المفروضة على منطقة قلورية وجنوب إيطاليا للفاطميين والمقدرة بـ 12 ألف قطعة ذهبية⁽¹⁰⁾، مقابل توقف العمليات الحربية الفاطمية في المنطقة، وسيستمر دفع الجزية والسلام بين الطرفين حتى وفاة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي⁽¹¹⁾ على الرغم من بعض المناوشات بين الطرفين⁽¹²⁾ بسبب تأخر البيزنطيين عن دفع الجزية المفروضة⁽¹³⁾.



تجدد الصراع بين البيزنطيين والفاطميين في منطقة صقلية وجنوب إيطاليا في عهد القائم بأمر الله حيث وجه الأخير جهوده إلى القضاء على النفوذ البيزنطي في المنطقة وتطهير آخر معاقلهم في صقلية وجنوب إيطاليا، فوضع بذلك حدا للسلم الذي ساد بين الطرفين في عهد والده المهدي ووجه أولى حملاته سنة 322هـ/933م بقيادة يعقوب بن إسحق الذي غزا جنوة لكنه لم يستقر بها بل اكتفى بالسبي والغنائم وعاد ظافرا إلى المهدي⁽¹⁴⁾، وفي السنة التي بعدها سير القائم جيشا من المهدي إلى صقلية للانضمام إلى الأسطول المرباط بصقلية للغزو، وتمكنوا من فتح مدينة جنوة وغزوا سردانية وأحرقوا مراكب كثيرة للروم وعادوا سالمين إلى مراكزهم بصقلية وشمال إفريقية⁽¹⁵⁾.

ستتوقف هذه المجهودات الحربية التي بذلها القائم بأمر الله⁽¹⁶⁾ لانشغال الفاطميين بخطر داخلي هدد ملكهم في إفريقية تمثل في ثورة الخوارج بقيادة أبي يزيد الخارجي⁽¹⁷⁾ والتي ستستمر طيلة عهد القائم وجزءا من عهده ابنه وخليفته المنصور بنصر الله⁽¹⁸⁾، لذلك توقفت الغارات الفاطمية على جنوب إيطاليا، ولا تمدنا المصادر المعاصرة بأي معلومات عن العلاقات الفاطمية البيزنطية في هذه الفترة، حيث توجه اهتمام مؤلفيها إلى الحديث عن ثورة أبي يزيد، والحقيقة أن المصادر سواء منها السنية أو الإسماعيلية قد مرت مرور الكرام على عهده الذي دام اثنا عشر عاما، وأهملت جميع الجوانب المتعلقة بعهد القائم ما عدا هذه الثورة التي كادت أن تُطيح بالدولة الفاطمية⁽¹⁹⁾.

تعود المصادر لتشير إلى السفارات التي قدمت من بيزنطة إلى البلاط الفاطمي في عهد المنصور، وذلك في سنة 335هـ/946م حيث وصلت سفارة من الإمبراطور البيزنطي مستخبرا عن أمر الملكة بعد الأخبار التي بلغته عن استيلاء البربر عليها وانحصار نفوذ الفاطميين في مدينة المهدي عاصمة ملكهم وما جاورها من أقاليم، فاستقبله المنصور في أبهة الملك حتى يفند لخصمه تلك المزاعم ولا يترك مجالا للبيزنطيين أن يفكروا في استغلال هذه الأوضاع التي تمر بها الدولة الفاطمية لتوجيه حملات عسكرية ضدهم، ثم صرفه بعد أن أضفى إنعامه عليه وحمله هدايا للإمبراطور البيزنطي⁽²⁰⁾، ولا يشير إدريس إلى فحوى هذه السفارة ويكتفي بذكر ما أوردناه دون تفاصيل أخرى، لكن في سنة 337هـ/948م جاءت رسل البيزنطيين إلى المنصورية حاضرة الفاطميين لطلب الهدنة والصلح بعد أن أوغل الأسطول الفاطمي في جنوب إيطاليا في حملته هذه السنة، وحملوا معهم لهذا الغرض هدايا من ثمين ما حوته خزائنتهم، فرضي الفاطميون بالصلح وردوا السفير البيزنطي بالهدايا الثمينة للإمبراطور⁽²¹⁾.



هذه الهدنة ستنتهي سنة 340هـ/951م نتيجة قيام الفاطميين بعدة غزوات ناجحة بصقلية⁽²²⁾، لكن الصلح تجدد في السنة الموالية بطلب من البيزنطيين لتعقد هدنة جديدة بين أمير صقلية الحسن الكلبى⁽²³⁾ الممثل عن الخليفة الفاطمي والإمبراطور البيزنطي رومانوس، وكانت بنود الصلح المنعقد سنة 341هـ/952م تنص على مايلي:

- بناء مسجد كبير وسط مدينة ريو⁽²⁴⁾ تقام فيه شعائر الصلاة وتعميره دائماً.
- يحرم على النصرارى دخول المسجد.
- من دخل المسجد من الأسرى المسلمين فهو آمن.
- إذا أخذ من المسجد حجر (أي هدم) تهدم كنائسهم في كل من صقلية و بلاد المغرب⁽²⁵⁾.

4 - في عهد المعز لدين الله 341هـ - 362هـ / 952م - 972م:

عقدت أول معاهدة صلح بين المعز لدين الله⁽²⁶⁾ والبيزنطيين في سنة 345هـ/956م بعد فشل الحملة المشتركة التي قادها البيزنطيون والأمويون ضد الفاطميين، وتعود حيثياتها إلى حادثة إحراق الأسطول الأموي بالميرية⁽²⁷⁾ قاعدة الأندلس البحرية من طرف الفاطميين الذين قاموا بهذا الفعل ردا على استيلاء الأمويين بالأندلس على إحدى قطع الأسطول الفاطمي بالبحر الأبيض المتوسط، فحالف الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر⁽²⁸⁾ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع⁽²⁹⁾ على حرب الفاطميين ووجدها الأخير فرصة لعله يسترد بها ما اقتطعه الفاطميون في جنوب إيطاليا وصقلية، لكن هذه الحملة انهزمت على يد الأسطول الفاطمي، فلم يجد الإمبراطور البيزنطي بدا من طلب الصلح والمهادنة، وأوفد رسله في نفس السنة لإبرام معاهدة صلح بين الطرفين وقبل المعز بالصلح⁽³⁰⁾ الذي نص على مايلي:

- اعتراف بيزنطة بالوصاية الفاطمية على مقاطعة قلورية التابعة لها.
- جزية سنوية تدفعها بيزنطة والأقاليم التابعة لها إلى الفاطميين.
- إطلاق سراح أسرى المسلمين من المشاركة .
- بالإضافة إلى العديد من الهدايا الجليلة⁽³¹⁾.
- بين المعز لخاصته الأسباب التي دفعته لقبول السلم مع البيزنطيين بعد حربهم وليس قبلها، مع العلم أن البيزنطيين عرضوا عليه المودة وترك الحرب قبل ذلك⁽³²⁾ والتي تتلخص في:
- إثبات قوة الفاطميين العسكرية على المستوى الدولي، وبذلك لا يبدو قبول الفاطميين بالسلم تحت طائلة الخوف أو الضعف.

- حتى لا يخلوا الأمر للبيزنطيين فيوجهوا جهودهم لحرب المسلمين بالشرق خاصة أنهم خرجوا لحرب المسلمين سواء كانوا الفاطميين أو غيرهم.



- بعد الإنتصار يكون للسلم فائدة أكبر للفاطميين بتثبيت مكانتهم في البحر المتوسط كقوة إسلامية لها وزنها.

- الإستفادة قدر الإمكان من الإنتصار في إملء شروط الهدنة على الجانب البيزنطي المنهزم، كما وصفه المعز بـ "شرط العزيز على الدليل"، والتي تمثلت في هذه الحالة في جزية سنوية والكثير من الهدايا وإطلاق سراح أسرى المسلمين ممن أسروا بالمشرق على الحدود الشامية البيزنطية⁽³³⁾، ولم يتضمن هذا السلم أي شروط على الجانب الفاطمي.

رغب الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع مواصلة الهدنة وفضل سياسة المودعة مع الفاطميين الذين شكلوا قوة يهاب جانبيها في البحر المتوسط وتمكنوا من هزيمة البيزنطيين في العديد من المواقع، فراسل البيزنطيون المعز الفاطمي سنة 346هـ / 957م⁽³⁴⁾، وقدم رسولهم ككل سنة بما أوجبه المعاهدة السابقة بهدايا ونفائس كثيرة يتقرب بها إلى الفاطميين، بالإضافة إلى الجزية السنوية التي تضمنتها المعاهدة والتي كانت تدفع بانتظام إلى عامل الفاطميين بصقلية، والعديد من أسرى المسلمين بالمشرق، طالبا إياه عقد هدنة مؤبدة بين الطرفين تثبيتا للمواقف السلمية وتفاديا للحرب، لكن المعز رفض طلب البيزنطيين بحجة أن الدين الإسلامي يمنع الهدنة الطويلة مع المشركين ويوجب جهادهم وأن الهدنة لا تكون إلا لمدة معلومة فيها حفظ لمصالح المسلمين، ولو كانت دائمة لبطل الجهاد المفروض على العباد وانقطعت دعوة الإسلام⁽³⁵⁾.

انتهت هذه المحادثات بتمديد الهدنة القائمة إلى أعوام أخرى ما دام الطرف البيزنطي ملتزما بما عليه من شروط الهدنة السالف ذكرها، لكن المعز تعدى هذه المرة حدود مملكته إلى أقاليم المشرق، واقترح على رسول بيزنطة عقد اتفاقية معه باسم أمراء المشرق كالحمدانيين وأهل طرسوس الذين كانوا شوكة في حلق البيزنطيين والحروب معهم مستمرة، متعهدا بالتزامهم ببند الصلح والسلام⁽³⁶⁾، وعلى الرغم من أن المصادر لم تذكر أن الأمر تم على ما أراده المعز، إلا أننا نرى أنه وجدها فرصة لتبيان نفوذه الروحي والسياسي على مناطق المشرق دون العباسيين الذين استبد بهم أمراء الأقاليم وصاروا عاجزين عن الدفاع عن ثغور بلاد الشام.

تنتهي فترة السلام سنة 350هـ / 960م بعد أن غزا البيزنطيون جزيرة كريت⁽³⁷⁾ واستولوا عليها، هذا الفعل اعتبره المعز لدين الله عملا عدوانيا نقض البيزنطيون بموجبه الهدنة المبرمة بينهما، وهو ما نفهمه من الرسالة التي وجهها إلى الإمبراطور البيزنطي يتوعد باستئناف الحرب ضده إن استمر في عدوانه على جزيرة كريت، لكن البيزنطيين واصلوا مساعدتهم حتى استيلائهم على الجزيرة في نفس السنة، في نفس الوقت كان المعز يسعى لتسويق جهوده مع الإخشيديين أصحاب مصر للتصدي للعدوان البيزنطي بعدما استنجد به أهل كريت، لكن بمجرد أن بلغه نبأ



سقوط كريت في أيدي البيزنطيين جهاز المعز أسطوله وأمر عامله بصقلية باستئناف الحرب بها⁽³⁸⁾، وتمكن الفاطميون من فتح مدن كثيرة وأحرزوا انتصارات باهرة في المنطقة حيث تمكنوا من فتح قلعة طبرمين⁽³⁹⁾ التي تعتبر من أمنع معاقل البيزنطيين بصقلية سنة 351هـ/961م، وسميت المعزية نسبة إلى المعز الفاطمي⁽⁴⁰⁾، ثم توجهوا إلى رمطة⁽⁴¹⁾ وحاصروها مدة حتى استنجد أهلها بالبيزنطيين الذين كانوا منتشين بانتصاراتهم في المشرق فجهزوا حملة لغزو صقلية وحشدوا كل جموعهم وتركوا أمر المشرق لنجدة أملاكهم بإيطاليا، ووقعت بين الطرفين موقعة عظيمة سنة 354هـ/967م انتهت بانتصار ساحق للمسلمين وتثبيت أمرهم في صقلية وجنوب إيطاليا بشكل كامل، وبعد مفاوضات عديدة بعد الواقعة تقرر عقد هدنة بين الطرفين سنة 356هـ/966م جرت فيها مراعاة مصالح الجانبين⁽⁴²⁾، ثم تجدد الصلح سنة 358هـ/968م بطلب من البيزنطيين الذي أرسلوا رسلهم بالهدايا لهذا الغرض، والذي تنازل بموجبه المعز عن طبرمين ورمطة اللتان هدمتا قبل مغادرتهم⁽⁴³⁾.

5 - العوامل المساهمة في إقرار السلم بين الفاطميين والبيزنطيين:

5- أ - بالنسبة للجانب البيزنطي:

5 - أ - 1- فشل حملاتهم المتتالية على صقلية:

الانتصارات التي حققها الفاطميون في صقلية وجنوب إيطاليا كانت الدافع الأهم وراء توجه البيزنطيين إلى طلب الصلح ومهادنة الفاطميين، فقد لاحظنا أن جل معاهدات السلم بين الطرفين عقدت بعد انهزام البيزنطيين، وقد أشرنا فيما سبق أن الحملات الناجحة التي شنّها الأسطول الفاطمي في عهد المهدي دفعت البيزنطيين إلى طلب الصلح سنة 313هـ/925م، وكذلك كان الحال في عهد المنصور الذي اضطر البيزنطيون إلى مهادنته سنة 341هـ/952م بعد حملاته الناجحة في صقلية وجنوب إيطاليا، وكانت الانتصارات الكبيرة التي حققها الفاطميون في عهد المعز لدين الله السبب المباشر الذي دفع البيزنطيين إلى إبرام معاهدات السلم مع الفاطميين في سنتي 345هـ/956م و354هـ/965م.

5 - أ - 2 - الهجمات الروسية والبلغارية على الأراضي البيزنطية:

كانت الإمبراطورية البيزنطية تتوسط أمما كثيرة تسعى إلى فرض سيطرتها على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين، ما جعلها تقاتل على أكثر من جبهة، وقد أتى الخطر هذه المرة من الشمال حيث كانت بيزنطة مشغولة بحرب البلغار والروس منذ سنة 356هـ/966م حتى سنة 360هـ/970م، و الواقع أن خطر البلغار يعود إلى فترات سابقة أخطرها الممتدة بين سنتي 305هـ/917م و315هـ/927م، ما جعل الإمبراطورية البيزنطية في هذه الفترة تنصرف كلياً إلى



قتال البلغار⁽⁴⁴⁾، كما كانت بيزنطة تخشى من هجومات الروس الذين عبروا البحر الأسود مرات عديدة من أجل السيطرة على القسطنطينية، وتمكنت القوات الروسية سنة 361هـ/971م من محاصرة القسطنطينية نفسها ما دفع الإمبراطور البيزنطي حنا زمسكيس⁽⁴⁵⁾ إلى حشد كل قواته المرابطة في مختلف الثغور واستدعى القوات الإمبراطورية المتواجدة بآسيا إضافة إلى حشد قطع أسطوله بالبحر الأسود للمشاركة في هذه الحرب التي تحالفت فيها مختلف الأمم المجاورة للإمبراطورية مثل البلغار والبنجناك إلى جانب الروس، ولم تنتهي هذه الحرب حتى سنة 363هـ/973م بعد انتصار بيزنطة⁽⁴⁶⁾.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي يهدد فيها الروس القسطنطينية، إذ سبق لهم أن وجهوا حملاتهم سنة 295هـ/907م ثم سنة 330هـ/941م، وأخطرها كان حملة سنة 333هـ/944م التي اضطرت البيزنطيين إلى تحويل الأسطول المجهز لغزو البلاد الإسلامية لصد الهجوم الروسي⁽⁴⁷⁾، وعلى الرغم من فشل هذه المحاولات إلا أنها تمثل خطرا محدقا على بيزنطة لا يمكن تجاهله ولا توقعه، فلم يكن إمكانهم فتح جبهة قتال جديدة في جنوب إيطاليا في هذه الفترة وتبديد قواتهم فرضوا بالسلم والهدنة مع الفاطميين، ومن جهة أخرى قضوا بهذا على أي مساعي تحالف بين البلغار مع الفاطميين على حسابهم.

5-أ-3 - خطر الإمبراطورية الرومانية المقدسة:

من بين الأسباب التي دعت البيزنطيين والفاطميين إلى عقد الصلح سنة 354هـ/965م لا بد وأنه من الأهمية والخطورة أن جعلت البيزنطيين يقبلون ما ترتب على الهزيمة من الذلة والمهانة وخروج صقلية بأكملها من أيديهم وهم المنتصرين على المسلمين في المشرق، ودفعت الخليفة الفاطمي أن يوقع معاهدة مع هذا العدو الذي نقض الصلح مرات عديدة من قبل، والتي تتلخص في حقيقة واحدة تتمثل في نجاح الإمبراطور الألماني أوتو الأول في حملاته على إيطاليا وتوغله فيها وانضم إليه بالفعل باباوات روما الكاثوليك وأيدوا مساعيه ضد كل من المسلمين والبيزنطيين الأرثوذكس، ما جعل كلا من البيزنطيين والفاطميين المالكي زمام صقلية وإيطاليا يتحالفان تخوفا من زحف الإمبراطور أوتو الأول الذي كان يسعى لإحياء الإمبراطورية الرومانية المقدسة واستولى بالفعل على شمال إيطاليا ووسطها وصار يهدد وجودهم في المنطقة⁽⁴⁸⁾.

وهذا يؤكد حقيقة هامة وراء دافع الصلح الذي سعى له البيزنطيون مع الفاطميين، وهو التفرغ للجبهة الشرقية والشمالية، حيث يبدو التوجه المشرقي لهم في هذه المرحلة من خلال مهادنة حنا زمسكيس للجبهة الغربية التي تضم الفاطميين والإمبراطورية الرومانية المقدسة، فبعد الغزوات الناجحة التي قام بها المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا وما ترتب عليها من



نتائج، إضافة إلى غزوات أوتو الأول في شمال إيطاليا ووسطها، مع ما كان يشغل بيزنطة من حروب مع روسيا وبلغاريا إضافة إلى حروب المشرق ضد المسلمين جعلت بيزنطة تلجأ إلى طلب الصلح من الفاطميين ثم الألمان في هذه الفترة حتى تتفرغ للخطر الأقرب من أراضيها في المشرق⁽⁴⁹⁾.

5- أ- 4- الحرب في الجبهة الإسلامية الشرقية:

لم تتوقف الحروب الإسلامية البيزنطية على الجبهة الشرقية إلا لمأما وذلك لطبيعة الجهاد الإسلامي الواجب الأداء شرعا، فكان على المسلمين خوض قتال مستمر مع أعدائهم لنشر الدين والدفاع عن حوزة الإسلام وبلاد المسلمين، لذلك كانت الجبهة الشرقية شغلا شاغلا لبيزنطة طيلة هذه الفترة، وكان هدف البيزنطيين في البداية صد هجمات العباسيين وولاتهم على الحدود الإسلامية البيزنطية في شمالي إقليم الجزيرة⁽⁵⁰⁾ وبلاد الشام، ونلاحظ أن بداية القرن الرابع للهجرة كان بداية تحركات إسلامية جديدة في المنطقة، فمنذ سنة 306هـ/918م غزا العباسيون بلاد الروم برا وبحرا وافتتحوا عدة حصون⁽⁵¹⁾، واستمروا في تحركاتهم ضد الأراضي البيزنطية حتى سنة 319هـ/931م حين تمكن والي طرسوس من غزو بلاد الروم وأوغل حتى بلغ أنقرة وعاد سالما⁽⁵²⁾.

ثم اشتعلت الجبهة الشرقية بعد تولي الحمدانيين إمارة حلب ودمشق وشمال بلاد الشام وأصبحوا في جهاد مستمر مع البيزنطيين، ومنذ سنة 333هـ/944م أحرز المسلمون انتصارات باهرة على البيزنطيين في هذه الجبهة بقيادة سيف الدولة الحمداني⁽⁵³⁾ أمير حلب، وانتصر في مواقع عديدة أهمها غزواته سنة 339هـ/950م في بلاد الروم أين تمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بالبيزنطيين وأوغل في بلادهم وعاد سالما، ونتيجة لتحركات القوات الإسلامية في المشرق والمغرب سعى البيزنطيون إلى عقد الصلح مع الحمدانيين وراسلوا سيف الدولة الحمداني سنة 344هـ/955م لكن الأخير رفض الصلح مع البيزنطيين، وانطلق في سنة 345هـ/956م يغزو الأراضي البيزنطية مجددا وفتح عدة حصون وسبى وأسر وأكثر القتل فيهم وعاد إلى حلب⁽⁵⁴⁾.

في نفس السنة - أي سنة 345هـ/956م- تحرك الأسطول الفاطمي بصقلية للغزو وألحق هزيمة كبيرة بالبيزنطيين اضطرتهم إلى مهادنة الفاطميين بعدما رفض الحمدانيون مقترح البيزنطيين للصلح حتى يتفرغوا لأحد الجانبين⁽⁵⁵⁾، لهذا لا نستبعد أن التحركات العسكرية الإسلامية في المشرق والمغرب والتي كانت متزامنة قد دفعت البيزنطيين إلى اتقاء شر الفاطميين الأبعد عن بيزنطة نسبيا مقارنة مع الحمدانيين في بلاد الشام، حيث كان كل اهتمامهم في هذه الفترة موجها لقتال المسلمين في المشرق.



يبدو أن البيزنطيين بعدما اطمئنوا من جانب الفاطميين وتمكنوا إلى حد بعيد من كبح التهديدات الروسية والبلغارية استأنفوا حروبهم المشرقية على حدود الشام والجزيرة الفراتية، وأخذوا يعدون العدة لغزو جزيرة كريت، والتي انتهت بسقوطها في أيديهم سنة 350هـ/961م⁽⁵⁶⁾.

لكن منذ سنة 354هـ/956م وبينما كان الفاطميون يحرزون الانتصار الأكبر في تاريخهم ضد بيزنطة وتطهير صقلية من آخر معاقلهم بها، أخذت موازين القوى في المشرق تتغير لغير صالح المسلمين إذ ما إن انتهى البيزنطيون من تثبيت الصلح مع الفاطميين في سنة 356هـ/966م وغيرهم من الأقوام المجاورة والقوى البحرية في المنطقة أمثال الروس والبلغار حتى انطلقوا في حملات واسعة على شمال الشام والجزيرة تمكنوا من إحراز بعض الانتصارات التي حشدوا لها جهودهم مثل الإستيلاء على طرسوس⁽⁵⁷⁾ سنة 357هـ/967م وأصبحت مركز انطلاق غاراتهم على شمال الشام والجزيرة⁽⁵⁸⁾.

5- ب- بالنسبة للجانب الفاطمي:

5- ب- 1- القضاء على النفوذ الأموي وتثبيت السيادة الفاطمية في بلاد المغرب:

على الرغم من التوجه المتوسطي للخلافة الفاطمية التي كانت ترمي إلى إثبات قوتها وسمعتها العالمية وهي في طور النشأة، إلا أن السلم الذي رضي به الفاطميون يعود لأسباب عدة، فالفاطيون كانوا دولة حديثة التأسيس لا بد لها من تثبيت سلطانها على أرض المغرب، ففي الوقت الذي كانت أساطيل الفاطميين تغزو جنوب إيطاليا وتحقق تلك الانتصارات الباهرة على البيزنطيين، كانت جموع المناوئين للفاطميين تتحرك في المغرب الأوسط والأقصى بقيادة قبائل زناتة، في هذه الحالة لم يجد الفاطميون بدا من الموافقة على مبادرات الصلح التي اقترحتها البيزنطيون، ما مكنهم من الإلتفات جدياً نحو القضاء على التدخلات الأموية في بلاد المغرب والقضاء على التمردات الناشئة بقيادة حلفائهم زناتة، خاصة أن البيزنطيين هم من بادروا لعقد الصلح، فكان بذلك الفاطميون في موقع قوة تمكنهم من فرض شروطهم، ونلاحظ أنه بعد الإتفاق على الصلح سنة 313هـ/925م، وجه المهدي جهوده إلى حرب زناتة وتمكن من إخضاع ثوراتهم وفرض سيطرته على أقاليم المغرب الأوسط والأقصى وذلك بعد حروب كثيرة، حيث حشد جموعه بقيادة القائم بأمر الله في الفترة ما بين سنتي 313هـ/925م و316هـ/928م⁽⁵⁹⁾، وبعد تجديد الصلح مع البيزنطيين سنة 319هـ/931م وجه المهدي حملته إلى المغرب الأقصى في السنة التي بعدها ليعيده إلى حوزته⁽⁶⁰⁾.



نجد أن المعز لدين الله قد اضطرته نفس الدوافع التي أدت بسلفه من قبل إلى مسالمة البيزنطيين، حيث يشير الداعي إدريس إلى أن التدخلات الأموية في بلاد المغرب وثورات حلفائهم زناتة جعلت المعز يميل إلى الصلح سنة 345هـ/956م⁽⁶¹⁾.

ويتضح هذا الأمر من خلال الحوادث التاريخية التي تلت والتي تثبت فعلا أن المعز كان منشغلا في هذه الفترة بتوطيد سلطانه في المغرب بالقضاء على بقايا الثوار والمعارضة قبل مغادرة البلاد نحو مصر⁽⁶²⁾، ففي الفترة الممتدة بين سنتي 347هـ - 348هـ / 958م - 959م سار قائد القوات الفاطمية جوهر الصقلي⁽⁶³⁾ بأمر المعز لتطويع بلاد المغرب حتى وصل إلى البحر المحيط وتمكن من بسط سلطة الفاطميين على كامل بلاد المغرب الإسلامي⁽⁶⁴⁾، وكان عزمه أبعد من هذا حيث يشير إدريس عماد الدين أن المعز عزم على تجهيز أسطول كبير إلى الأندلس للقضاء على بني أمية بعد انتصاره على البيزنطيين، ولعل رفضه مبادرة الصلح التي اقترحتها الأمويون تجعلنا نميل إلى صحة هذا الرأي⁽⁶⁵⁾، ولولا ما جد على الساحة الإسلامية من عدوان بيزنطي على بلاد المشرق خاصة على سواحل الشام وجزيرة كريت التي استنجد أهلها بالفاطميين والتي كانت سببا في قطع الهدنة المبرمة بين الفاطميين والبيزنطيين سنة 345هـ/956م لربما كان له مع الأمويين في الأندلس شأن آخر.

5- ب- 2- السيطرة على مصر وبلاد الشام:

منذ قيام الدولة الفاطمية بالمغرب كان حلم السيطرة على مصر والمشرق عموما يراود الخلفاء الفاطميين، وما كاد عبيد الله المهدي يوطد سلطانه بالمغرب حتى شرع في إرسال الحملات العسكرية صوب مصر والتي انتهت في كل مرة بالفشل، ثم كرر ابنه وخليفته القائم المحاولة دون جدوى، ثم شغلتهم الثورات الناشئة عن مساعيهم بل كادوا يفقدون أملاكهم في بلاد المغرب نفسها، فانصرفت نفوسهم عن مصر حينما من الزمن حتى وصول المعز إلى سدة الخلافة الفاطمية، هذا الأخير اتخذ إجراءات وتدابير في غاية الدقة للوصول إلى الهدف المنشود، حيث نشر دعاته في مصر وأخذ يمهّد للأمر بطريقة سرية اعتمد فيها على الدعاية السياسية المنظمة من جهة وتهيئة جميع الوسائل المادية قبيل القيام بأي حراك، ثم التفرغ كليا لغزو مصر وهذا لم يتم إلا بعدما تمكن المعز من فرض سيطرته على كامل بلاد المغرب ووضع حدا للتدخلات الأموية بالمنطقة، وهادن البيزنطيين الذين كانوا يشغلون بحروبهم جزءا مهما من الجيش والأسطول الفاطمي⁽⁶⁶⁾.

بعد الاتفاق المبرم بين الفاطميين والبيزنطيين سنة 356هـ/966م والذي هيا للبيزنطيين فرصة التفرغ لحروبهم بالمشرق، توجهت اهتمامات الفاطميين إلى مصر بعدما اطمأنوا من جانب



صقلية وبيزنطة، وبدأ التحضيرات للرحيل إلى مصر، وشرع المعز في القضاء على الثورات الناشبة في بلاد المغرب بقيادة زناته دائما التي انتفضت بمنطقة الأوراس سنة 358هـ/968م وخرج المعز بنفسه لإخمادها، ثم تهيئة جميع الأمور اللوجستية اللازمة⁽⁶⁷⁾، وفي سنة 358هـ/969م توجه القائد جوهر بجيش بري يرافقه أسطول بحري ضخم إلى مصر لغزوها باسم المعز، وبعدها تمكن جوهر من السيطرة على مصر رحل المعز من المغرب ودخل القسطنطينية في بداية سنة 362هـ/973م⁽⁶⁸⁾.

من خلال العرض السابق الذي حاولنا فيه أن نبين أهم معاهدات الصلح المنعقدة بين الفاطميين والبيزنطيين ودوافعها والنتائج التي ترتبت عليها يمكننا أن نخلص إلى نتائج مهمة منها:

- أغلب هذه المعاهدات تمت بطلب من البيزنطيين ونقضت من طرفهم أيضا، منتهزين انشغال الدولة الفاطمية بالإضطرابات الداخلية أو الحروب الخارجية في الجهات الأخرى، ما يشير إلى عدم التزامهم بالعهود والمواثيق عكس المسلمين الذين تربوا بتربية الإسلام التي تؤكد الوفاء بالعهد وتحرم نقضه.

- يتضح من خلال البحث أن الفاطميين حققوا مكاسب عديدة على المستوى الدولي والمحلي، حيث ظهروا كقوة عالمية يخشى جانبها بفضل الانتصارات التي حققوها على البيزنطيين، كما استطاعوا تحقيق أبعاد سياسية ساهمت في انتشار نفوذهم على أقاليم عديدة حتى لو لم تكن ضمن نطاق سلطانهم، حيث تمكنوا من فداء الأسرى المسلمين المشاركة الذين كانوا بأيدي البيزنطيين، كما يدل استنجاد أهل جزيرة كريت بهم على تلك السمعة والمكانة التي وصلوا إليها كقوة إسلامية في منطقة حوض البحر المتوسط، و دخول كامل بلاد المغرب تحت سلطانهم وتمكنهم في الأخير من السيطرة على مصر وبلاد الشام والحجاز.

- أتاحت فترات الصلح فرصة للفاطميين لأن يعيدوا ترتيب مفاصل الدولة الإدارية والعسكرية ويبسطوا سلطانهم على كامل بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام فيما بعد، ويتتبعوا حركات المعارضة القائمة ضدهم والتي تزعمها الخوارج تارة وحلفاء الأمويين في المنطقة تارة أخرى.

- أكدت هذه المعاهدات أن العرب والمسلمين عموما هم دعاة سلم وسلام أكثر مما هم دعاة حرب وهذا ما يبدو من خلال سير الأحداث التاريخية في جنوبهم إلى السلم كلما دعوا إليه.

- تمكن البيزنطيون بفضل معاهدات السلم المنعقدة مع القوى المتواجدة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من حشد قواهم والتفرغ لقتال الجبهتين الشرقية ضد المسلمين والشمالية



ضد البلغار والروس، وهو ما ساعد إلى حد ما في تلك الانتصارات التي حققتها بيزنطة في هذه المناطق.

- نلاحظ أن العلاقات الدولية كانت ولا زالت تخضع لعامل المصلحة أكثر من عامل الدين أو المذهب أو رابطة الدم (العصبية)، وإلا فما تفسير الإتفاق الأموي البيزنطي ضد الفاطميين، وما تفسير الصلح الفاطمي البيزنطي الذي مكن كلا الطرفين من مواجهة خصمه.

الهوامش:

- (1) - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.)، ص: 2079.
- (2) - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (د.ط.)، 2008م، ص: 797؛ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب السلطانية، القاهرة، (د.ط.)، 1916م، ج: 14، ص: 03.
- (3) - القلقشندي، المصدر نفسه، ج: 14، ص: 02، 03.
- (4) - سورة الأنفال، الآية: 61.
- (5) - سورة التوبة، الآية: 04.
- (6) - القلقشندي، المصدر نفسه، ج: 14، ص: 07 و ما بعدها؛ جابر عبد العزيز، الإسلام الدين القيم، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، (د.ط.)، 2008م، ص: 70.
- (7) - قلورية أو كلايريا، هي مقاطعة في جنوب إيطاليا من جهة صقلية، أهلها إفرنج و لها مدن كثيرة و بلاد واسعة. أنظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط.)، 1977م، ص: 392؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط: 02، 1984م، ص: 470، 471.
- (8) - محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية و مصر و بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط: 02، 2007م، ص: 116، 117.
- (9) - رومانوس ليكابينوس حكم ما بين سنتي 919م و 944م بصفته وصيا على الإمبراطور الشرعي قسطنطين السابع، عرف عنه أنه كان رجل دولة وسياسيا من الطراز الأول على الرغم من انتمائه إلى أسرة فقيرة، فهو ابن فلاح يدعى تيوفلاكت أباستاكتوس، وقد واجه مصاعب جمة من طرف الطبقة الأرستقراطية داخل القصر الإمبراطوري، لكنه تمكن بمساعدة الكنيسة من فرض وجوده كوصي للعرش وحاكم للإمبراطورية البيزنطية. أنظر: قسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، تحقيق: محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط.)، 1980م، ص: 12، 13.
- (10) - فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، 1994م، ص: 227، 228؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)، ص: 427.



- (11) - أبو محمد عبيد الله الملقب بالمهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، اختلف في نسبه كثيرا، فمنهم من ينسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وصولا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومنهم من ينكرون نسبه العلوي و يقولون أنه ينتسب إلى عبد الله بن ميمون القداح وهذا الأخير مجوسي ادعى نسبا إلى العلويين، ولم تسفر الدراسات الحديثة عن أي نتيجة قاطعة في ما يخص نسب الفاطميين، حكم عبيد الله المهدي منذ سنة 297هـ/909م حتى وفاته سنة 322هـ/933م. أنظر: شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج:03، ص: 117 و ما بعدها.
- (12) - في سنة 319هـ تأخر البيزنطيون في دفع الجزية المقررة ما دفع الفاطميين إلى تجهيز أسطولهم لغزو جنوب إيطاليا، ولما علم البيزنطيون باستعدادات الأسطول الفاطمي راسلوهم لتجديد الصلح ودفَعوا ما عليهم فتجدد الصلح بين الطرفين في نفس السنة. أنظر: إدريس عماد الدين، عيون الأخبار وفنون الآثار السبع السادس الخاص بأخبار الدولة الفاطمية، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط:02، 1984م، ص ص:231، 232.
- (13) - فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص: 229.
- (14) - علي بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، 1987م، ج:07، ص:100؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان و ليفي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت، ط:03، 1983م، ص:209.
- (15) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج:07، ص:115.
- (16) - أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي، ثاني الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ولد بسلامية من أرض الشام سنة 280هـ و قيل سنة 282هـ، خلف والده في الخلافة سنة 322هـ حتى وفاته سنة 344هـ. أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، ج:05، ص: 19 و ما بعدها.
- (17) - أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي النكاري المعروف بصاحب الحمار، من زعماء الإباضية وأئمتهم، كان معلما للصبيان معروفا عنه التقشف والزهد، أخذ يحدث الناس بعيوب النظام الفاطمي ومساوئه حتى اجتمع عليه نفر من أتباع النكارية فخرج على الفاطميين و تلقب بشيخ المؤمنين و تمكن من تحقيق انتصارات كبيرة على جيوش الفاطميين في عهد القائم ووصل إلى مشارف المهديّة و كاد أن يقضي على الدولة الفاطمية لولا ما أظهره من أفعال الخوارج وآرائهم، فانفض عنه أغلب من اتبعه حتى تمكن المنصور الخليفة الفاطمي الثالث من القضاء على ثورته وقتله سنة 336هـ. أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، 2002م، ج:07، ص:194.
- (18) - أبو الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي، الملقب بالمنصور بنصر الله، ثالث الخلفاء الفاطميين بالمغرب، كان شجاعا رابط الجأش بليغا فصيحاً يرتجل الخطبة لحينه، تولى قيادة الجيوش المتوجهة لحرب أبي يزيد بنفسه، تولى الخلافة بعد وفاته والده سنة 334هـ، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة 341هـ. أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، ج:01، ص: 234 و ما بعدها.
- (19) - فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص: 239 و ما بعدها.
- (20) - إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص: 387.
- (21) - إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص ص: 498، 499؛ أبو علي منصور العزيزي الجوزري، سيرة الأستاذ جوزر، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص ص: 60، 61.



- (22) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج:07، ص:239.
- (23) - الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلي، نسبة إلى قبيلة كلب العربية اليمنية، أول أمراء الكلبين بصقلية، كان في مبدأ أمره قائدا في جيش المنصور الفاطمي بالمغرب، ثم استعمله واليا على صقلية سنة 336هـ بعدما رأى منه حسن التدبير والقيادة و بلائه الحسن معه في حربه ضد أبي يزيد الخارجي، حقق انتصارات باهرة على البيزنطيين في صقلية وجنوب إيطاليا، توفي سنة 352هـ بصقلية. أنظر: خير الدين الزركلي، المرجع نفسه، ج:02، ص:201.
- (24) - مدينة اللروم تقع في الجزء الجنوبي لإيطاليا تقابلها جزيرة صقلية. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج:03، ص:116.
- (25) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج:07، ص ص: 224، 225 ؛ و انظر كذلك: محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص: 146 ؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص:396.
- (26) - أبو تميم معد بن إسماعيل المنصور بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي، رابع الخلفاء الفاطميين بالمغرب، كانت ولادته بالمهدية سنة 319هـ، تسمى بالمعز لدين الله بعد مبايعته بالخلافة سنة 341هـ، في عهده بلغت الدولة الفاطمية أقصى اتساعها، من المحيط الأطلسي شرقا حتى بلاد الشام والحجاز غربا، انتقل سنة 362هـ إلى مصر التي أصبحت منذ هذا التاريخ حاضرة الفاطميين، توفي بمصر سنة 365هـ. أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، ج:05، ص: 224 و ما بعدها.
- (27) - هي مدينة كبيرة من مشاهير مدن الأندلس، فيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب ومنها يركب التجار وتحل مراكبهم، وتعتبر قاعدة الأسطول البحري الأندلسي. انظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج:05، ص:119.
- (28) - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المرواني الأموي، ولد بقرطبة سنة 277هـ ويويع بالإمارة سنة 300هـ، وهو أول من تلقب بالخلافة من أمراء الدولة الأموية بالأندلس سنة 316هـ وتلقب بالناصر لدين الله، حكم الأندلس خمسين سنة وستة أشهر حتى وفاته سنة 350هـ. أنظر: خير الدين الزركلي، المرجع نفسه، ج:03، ص:224.
- (29) - قسطنطين السابع هو الإسم الذي حمله الإمبراطور البيزنطي بروفيريو جينيتوس بن الإمبراطور ليو السادس، ولد حوالي سنة 905م، تولى عرش الإمبراطورية سنة 913م وعمره سبع سنوات، حيث تولى الوصاية عليه عمه ألكسندر ثم أمه حتى سنة 920م أين استولى على عرش الإمبراطورية البيزنطية رومانوس ليكابينوس بصفته وصي قسطنطين السابع، واستمر رومانوس في منصبه حتى سنة 945م حيث توج قسطنطين السابع إمبراطورا وعمره أربعون سنة، عرف عنه ميله إلى العلم وحب التأليف، له عدة مؤلفات منها كتاب إدارة الإمبراطورية البيزنطية وكتاب عن تاريخ جده الإمبراطور بازيل الأول (867 - 886م)، توفي سنة 959م. أنظر: السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص:409 وما بعدها ؛ قسطنطين السابع، المصدر نفسه، ص:37 وما بعدها.
- (30) - النعمان بن محمد، المجالس و المسابير، تحقيق: الحبيب الفقهي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، ط:01، 1996م، ص: 164 وما بعدها ؛ إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص:584 وما بعدها.
- (31) - النعمان بن محمد، المصدر نفسه، ص:167، فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص:358 وما بعدها، محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص:169.
- (32) - النعمان بن محمد، المصدر نفسه، ص:166.



- (33) - المصدر نفسه، ص: 175.
- (34) - المصدر نفسه، ص ص: 442، 443.
- (35) - المصدر نفسه، ص ص: 366، 367.
- (36) - المصدر نفسه، ص: 368.
- (37) - تعرف في المصادر العربية باسم إقريطش، وهي جزيرة كبيرة في البحر الشامي بها مدن وقرى عامرة، سكنها أهل الأندلس الذي نفاهم الحكم الرضي، واستقروا في بادئ الأمر بالإسكندرية، ثم وجههم العامل العباسي على مصر إلى الجزيرة فاستقروا بها حتى استيلاء البيزنطيين عليها سنة 350هـ. أنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر نفسه، ص: 51.
- (38) - إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص: 648 وما بعدها.
- (39) - حصن منيع بصقلية يقع على جبل مطل على البحر، و به مرسى للسفن ومنه يسافر الناس إلى جميع الجهات. أنظر: الحميري، المصدر نفسه، ص: 385.
- (40) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج: 07، ص: 275.
- (41) - إسم أعجمي لقلعة حصينة تقع فوق جبل بجزيرة صقلية، وهي بعيدة عن البحر، كانت آخر معاقل النصارى بالجزيرة حتى افتتحها الحسن الكلي سنة 354هـ. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج: 03، ص: 68.
- (42) - السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 490 وما بعدها.
- (43) - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج: 24، ص ص: 203، 204.
- (44) - السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 404.
- (45) - الإمبراطور البيزنطي حنا زمسكيس ينتمي إلى أسرة أرمنية عريقة النسب، ولد بأرمينيا حوالي سنة 924م، احترف الجندية منذ حداثة وترقى في رتب الجيش حتى ذاع صيته وتولى منصب قائد القوات البيزنطية، قاد مؤامرة تمكن من خلالها من الإطاحة بالإمبراطور نقفور فوقاس وتولي عرش الإمبراطورية البيزنطية ما بين سنتي 969م و976م. أنظر: السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 516 وما بعدها.
- (46) - السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 526 وما بعدها.
- (47) - جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 2005م، ص: 156 وما بعدها؛ السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص ص: 406، 407.
- (48) - السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص ص: 496، 497؛ محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص: 172.
- (49) - السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 538.
- (50) - هي الأرض الواقعة بين دجلة والفرات، وتسمى جزيرة أقور، مجاورة لبلاد الشام و تشتمل على مدن جليية وحصون وقلع كثيرة، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقه ونصيبين وآمد وديار بكر وميفارقين والموصل وغير ذلك. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج: 02، ص: 134.
- (51) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج: 06، ص: 501.
- (52) - المصدر نفسه، ج: 07، ص: 69 وما بعدها.



- (53) - أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربيعي الملقب بسيف الدولة، ولد سنة 301هـ وقيل سنة 303هـ بميفارقين من أرض الجزيرة، تملك حلب وما انضاف إليها من البلاد المجاورة سنة 333هـ، وقاد غزوات مظفرة على بلاد الروم واستمر في جهاده حتى وفاته سنة 356هـ. أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، ج: 03، ص: 401 وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، المرجع نفسه، ج: 04، ص ص: 303، 304.
- (54) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج: 07، ص ص: 233، 257؛ السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 417 وما بعدها.
- (55) - السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 417.
- (56) - النعمان بن محمد، المصدر نفسه، ص: 443 وما بعدها.
- (57) - مدينة حصينة بالشام تقع بين أنطاكية و بلاد الروم، كانت من أمتع ثغور المسلمين المواجهة للبيزنطيين، نزلها الناس سنة 170هـ بأمر الخليفة العباسي هارون الرشيد، و شحنها بالرجال والسلاح والعدة وبنى عليها سوران وخندق عريض. أنظر: الطبري، نفسه، ج: 08، ص: 234؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج: 04، ص: 28؛ الحميري، المصدر نفسه، ص: 388.
- (58) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج: 07، ص 295؛ السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 422.
- (59) - إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص: 214 وما بعدها؛ فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص: 228.
- (60) - إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص: 232.
- (61) - النعمان بن محمد، المصدر نفسه، ص: 164 و ما بعدها؛ إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص: 584 وما بعدها.
- (62) - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ج: 03، ص: 269.
- (63) - أبو الحسن جوهر بن عبد الله الرومي الصقلي قائد الجيوش الفاطمية، كان من موالى المعز لدين الله ومحل ثقته، كان شجاعا كثير الإحسان، سيره المعز سنة 358هـ للإستيلاء على مصر وتمكن بالفعل من دخولها وضمها إلى أملاك الفاطميين بالإضافة إلى بلاد الشام والحجاز، توفي سنة 381هـ وقيل لم يبق شاعر بمصر إلا رثاه. أنظر: خير الدين الزركلي، المرجع نفسه، ج: 02، ص: 148.
- (64) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج: 07، ص: 261 و ما بعدها؛ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1996م، ج: 01، ص: 94؛ محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص: 169.
- (65) - إدريس عماد الدين، المصدر نفسه، ص ص: 601، 602.
- (66) - النعمان بن محمد، المصدر نفسه، ص: 326؛ فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص: 208 وما بعدها.
- (67) - من بين الإشارات السابقة لفترة الغزو والتي تدل على نية المعز المبكرة في السيطرة على مصر ما أورده المقرئ حول شروع المعز في تهيئة الطريق المؤدية من إفريقية إلى مصر حيث أمر سنة 355هـ بحفر الآبار وبناء قصر بكل مرحلة من مراحل هذه الطريق. أنظر: المقرئ، المصدر نفسه، ج: 01، ص: 96.
- (68) - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج: 07، ص: 314 وما بعدها؛ السيد الباز العريني، المرجع نفسه، ص: 540.